(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة:١١٦-١٢٠]

الشيخ: لا إله إلا الله.

يُخبر -تعالى- في هذه الآياتِ عن قولِه لعبدِه ورسولِه عيسى ابن مريم توبيخًا للنَّصارى وتكذيبًا لهم وإخزاءً لهم في يوم القيامة، حيث يُكَذِّبُهم، مَنْ زعمُوا أنه ابنُ الله، هو يُكذِّبُهم، {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ} تنزيهًا لك يا ربّ، "سبحان" تدلُّ على التنزيه، {سُبْحَانَكَ}، {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} يعني: ما يليقُ ولا يصحُّ، لا يصحُّ منّي {أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}.

ثم يُثني على ربّه بأنه أعلمُ {إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ}، فهذا السؤالُ {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ} ليس المقصودُ منهُ الاستعلامُ ومعرفةُ الواقع لا، هذا فيه تبكيتٌ وإخزاءٌ للنصارى وتكذيبٌ لهم، {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}.

ثم بيَّنَ أنه لم يقلْ لهم إلا ما أمرَه اللهُ به: {اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

ثم خُتِمَتِ الآيةُ بالتنويهِ بأمرِ الصِّدقِ والصَّادقين، بأمرِ الصِّدقِ والصَّادقين، {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وأصدقُ الناس هم الرُّسلُ -عليهم الصلاة والسلام- ومنهم عيسى ابن مريم، وقد صدَقَ فيما ذكرَ عن نفسِه، قد صدقَ فيما ذكرَهُ عن نفسِه وفيما أخبرَ به عن ربِّه، وهو أحدُ أُولي العزمِ: نوحٌ، إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومُحَمَّد -عليهم الصلاة والسلام- نعم يا مُحَمَّد.

السائل: الوفاة هنا؟ {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي}

الشيخ: عند أهل العلم قيل: إن اللهَ توفَّاهُ: رفعَهُ، رفعَهُ إلى السماء نائمًا، وقيل: {تَوَفَّيْتَنِي} يعني اسْتَوْفَيْتَنِي من المُقامِ في الأرض، وإلَّا فهو حيٌّ سينزلُ في آخرِ الزمان: (يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً قِسْطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ).

(تفسير السعدي)

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى–:

وهذا توبيخٌ للنصارى الذين قالوا: "إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة"، فيقولُ الله هذا الكلام لعيسى، فيتبرَّأ عيسى ويقول: {سُبْحَانَكَ} عن هذا الكلامِ القبيحِ، وعمَّا لا يليقُ بك.

{مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} أي: ما ينبغي لي، ولا يليقُ أن أقولَ شيئًا ليس مِن أوصافي ولا مِن حقوقي، فإنه ليس أحدٌ من المخلوقين، لا الملائكةُ المقرَّبون ولا الأنبياءُ المرسَلون ولا غيرُهم له حقٌّ ولا استحقاقٌ لمقامِ الإلهيَّة، وإنما الجميعُ عباد مُدَبَّرون، وخَلْقٌ مُسخَّرون، وفقراءُ عاجِزون {إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} فأنتَ أعلمُ بما صدرَ منِّي و{إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} وهذا من كمالِ أدبِ المسيح –عليه الصلاة والسلام– في خطابِه لربِّه، فلم يقلْ –عليه السلام–: "لم أقلْ شيئًا من ذلك" وإنما أخبرَ بكلامٍ ينفي عن نفسه أن يقولَ كلَّ مقالةٍ تنافي منصبَهُ الشريفَ، وأن هذا من الأمورِ المحالةِ، ونزَّهَ ربَّهُ عن ذلك أتمَّ تنزيه، وردَّ العلمَ إلى عالمِ الغيبِ والشهادةِ.

ثم صرَّحَ بذكرِ ما أمرَ به بني إسرائيل، فقال: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} فأنا عبدٌ مُتَّبِعٌ لأمرِكَ، لا متجرِّئٌ على عظمتِكَ، {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} أي: ما أمرتُهُم إلا بعبادةِ الله وحدَه وإخلاصِ الدين له، المتضمِّنِ للنَّهي عن اتخاذِي وأُمِّي إلهَيْنِ من دونِ الله، وبيانِ أني عبدٌ مربوبٌ، فكما أنه ربُّكم فهو ربي.

{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ} أشهدُ على مَنْ قامَ بهذا الأمر ممَّنْ لمْ يقم به. {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} أي: المطلعُ على سرائرِهم وضمائرِهم. {وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} علمًا وسمعًا وبصرًا، فعلمُكَ قد أحاطَ بالمعلوماتِ، وسمعُكَ بالمسموعاتِ، وبصرُكَ بالمُبصرَاتِ، فأنتَ الذي تجازي عبادِكَ بما تعلمُهُ فيهم من خيرٍ وشرٍّ.

الشيخ: أحسنت

القارئ: **{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ}**

الشيخ: إلى هنا.